

فضيلة الشيخ الدكتور

محمد بن عبد الرحمن العريفي

دار الخلفاء الراشدين

الإسكندرية أبو سليمان ش عمر أمام مسجد الخلفاء الراشدين

الإدارة: ٠١٠٠٥٠١٣١٥١ - المبيعات: ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦

راسلونا على صفحتنا على فيسبوك (دار الخلفاء الراشدين)

حقوق الطبع محفوظة

اسم الكتـــاب: ربانيون لا رمضانيون

اسم المؤلـــف: محمد بن عبدالرحمن العريفي

القطـــــــع: ١٢ × ١٧ سم

عدد الصفحات: ٤٨

سنة الطبـــع: ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

الطبعـــــــة: الأولى







الإسكندرية أبو سليمان ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١٠٠٥٠١٣١٥١ - ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦

الإسكندرية مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١١٢٦٥٠٠٦٩٦ - ٠١٠٩٤٥٥٥١٥٧

طبع • نشر • توزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي فرض على عباده الصيام.. وجعله مطهرًا لنفوسهم من الذنوب والآثام..

الحمد لله الذي خلق الشهور والأعوام..والساعات والأيام.. وفاوت بينها في الفضل والإكرام.. وربك يخلق ما يشاء ويختار..

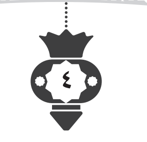
أحمده سبحانه.. فهو العليم الخبير..الذي يعلم أعمال العباد ويجري عليهم المقادير.. لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو على كل شيء قدير.. في السماء ملكه.. وفي الأرض عظمته.. وفي البحر قدرته..

خلق الخلق بعلمه.. فقدر لهم أقدارًا.. وضرب لهم آجالًا..

خلقهم.. فأحصاهم عددًا.. وكتب جميع أعمالهم فلم يغادر منهم أحدًا.. وأصلي وأسلم على أفضل من صلى وصام.. ووقف بالمشاعر وطاف بالبيت الحرام..

صلى الله وسلم وبارك عليه..ما ذكره الذاكرون الأبرار.. وصلى الله وسلم وبارك عليه..ما تعاقب الليل والنهار..

ونسأل الله أن يجعلنا من خيار أمته.. وأن يحشرنا يوم القيامة في زمرته.. **أما بعد..**

أيها الصائمون والصائمات..

ما أشبه الليلة بالبارحة.. هذه الأيام تمر سريعة وكأنها لحظات..

لقد استقبلنا رمضان الماضي.. ثم ودعناه.. وما هي إلا أشهر مرت كساعات.. فإذا بنا نستقبل شهرًا آخر.. وكم عرفنا أقوامًا.. أدركوا معنا رمضان أعوامًا.. وهم اليوم من سكان القبور.. ينتظرون البعث والنشور.. وربما يكون رمضان هذا لبعضنا آخر رمضان يصومه..

إن إدراكنا لرمضان.. نعمة ربانية.. ومنحة إلهية.. فهو بشرى.. تساقطت لها الدمعات.. وانسكبت العبرات.. ﴿**شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِ**﴾.

وروى النسائي والبيهقي بسند حسن أنه ﷺ قال: «**قَدْ جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، يُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَيُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ**»..

وفي الصحيحين قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخل رمضان:**

فتحت أبواب الرحمة، وغلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين، وفتحت أبواب الجنة»..

نعم..كم من قلوب تمنت..ونفوس حنت..أن تبلغ هذه الساعات..

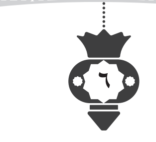
شهرٌ.. تضاعف فيه الحسنات.. وتكفر السيئات.. وتُقال فيه العثرات.. وترفع الدرجات.. تفتح فيه الجنان.. وتغلق النيران.. وتصفد فيه الشياطين..

شهرٌ جعل فيه من الأعمال جليلُها.. ومن الأجور عظيمُها..

روى الترمذي وغيره أنه ﷺ قال: «**إِذَا كَانَ أَوَّلُ لَيْلَةٍ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ: صُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِنِّ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ أَقْصِرْ، وَلِلهِ عُتَقَاءُ مِنَ النَّارِ وَذَلِكَ كُلُّ لَيْلَةٍ**»..

نعم.. شهر رمضان..

هو شهر الخير والبركات.. والفتوح والانتصارات.. فما عرف التاريخ غزوةَ بدر وحطين.. ولا فتحَ مكة والأندلس.. إلا في رمضان..



لذا كان الصالحون يعدون إدراك رمضان من أكبر النعم..

قال المعلى بن الفضل: كان السلف يدعون الله ستة أشهر أن يبلِّغهم رمضان !!

وقال يحيى بن أبي كثير: كان من دعائهم: اللهم سلمني إلى رمضان.. وسلِّم لي رمضان.. وتسلَّمه مني متقبلاً..

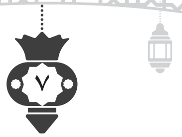
نعم.. كان رمضان يدخل عليهم.. وهم ينتظرونه.. ويترقبونه.. يتهيئون له بالصلاة والصيام.. والصدقة والقيام.. أسهروا له ليلهم.. وأظمئوا نهارهم.. فهو أيام مَّعْدُوداتٍ.. فاغتنموها..

لو تأملت حالهم.. لوجدتهم.. بين باك غُلب بعبرته.. وقائم غص بزفرته.. وساجدٍ يتباكى بدعوته..

كان يدخل على أقوام صدق فيهم قول الله: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾..

كانوا.. ربانيين.. لا رمضانيين.. هم في صيام وقيام.. في رمضان وغير رمضان..

باع رجل من الصالحين جارية لأحد الناس.. فلما أقبل





رمضان أخذ سيدها الجديد يتهيأ بألوان الطعام..

فقالت الجارية: لماذا تصنعون ذلك ؟

قالوا: لاستقبال الصيام في شهر رمضان..

فقالت: وأنتم لا تصومون إلا في رمضان ؟! والله لقد جئت من عند قوم السنة عندهم كلها رمضان.. لا حاجة لي فيكم.. ردوني إليهم.. ورجعت إلى سيدها الأول..

كانوا يدركون الحكمة من شرعية الصيام.. فالصوم لم يشرعْ عبثًا.. نعم.. ليستْ القضية..قضية ترك طعام !! أو شراب.. كلا.. القضيةُ أكبرُ من ذلك بكثير.. شرع لكي يعلمَ الإنسان..أن له ربًا..يشرعُ الصومَ متى شاء..ويبيحُ الفطرَ متى شاء !! يحكم ما يشاء ويختار.. فيخشاه ويتقيه..

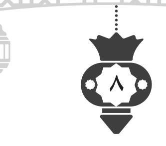
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ نعم ﴿لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾..

والتقوى خشيةٌ مستمرة..

خل الذنوب صغيرها وكبيرها ذاك التقى

واصنع كماش فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

لا تحقرن صغيرةً إن الجبالَ من الحصى



التقوى هي الخوفُ من الجليل..والعملُ بالتنزيلُ..والقناعةُ بالقليل..والاستعدادُ ليوم الرحيل.. ومن حقق التقوى شعر بأن حياتـه كلَّهـا.. ملك لله تعالـى.. يفعل بها ما يشـاء.. فهـو يصلي وقت الصلاة.. ويصوم وقت الصوم.. ويجاهد في الجهاد.. ويتصدق مع المتصدقين.. فليس لنفسـه منه حظ ولا نصيب.. بل حياته كلها وقف لله تعالى..

جعفـر بن أبي طالب.. ابن عم رسـول الله ﷺ ... أخو علي ابن أبي طالب.. أسـلم هو وزوجته أسـماء مبكرين.. لم يتجاوز عمره الواحد والعشرين سنة.. وأصابه من الأذى والاضطهاد في مكة.. ما لا يحتمل.. فأذن لهم النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشـة..

خـرج جعفـر وزوجه إلى الحبشـة.. إلى أرض الغربـاء البعداء.. خرج وهو الشـريف في قومـه.. إلى أرض الغربـاء البعداء.. إلى أرض لا يعرفهـا.. وقبائـل لا يألفها.. ولغـة لا يفهمها.. لبث في الحبشـة ثلاث سنين.. ثم أشـيع عندهم أن قريشًـا قد أسلموا.. فعـاد بزوجته وولده.. فإذا قريش على كفرها.. فردهم النبي ﷺ إلى الحبشة.. عاد إلى الحبشة.. وأكمل فيها سبع سنوات..

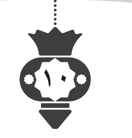
فلمـا فتح النبي ﷺ خيبر أرسـل إلى المسـلمين في الحبشـة

ليقدموا إلى المدينة.. فلما دخلوا المدينة.. فرح النبي ﷺ بقدوم جعفر فرحًا شديدًا.. وذكر أنه ﷺ لما رآه قبله بين عينيه والتزمه، وقال: «**ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خيبر، أم بقدوم جعفر؟!**»..

وكان جعفر شديد الشبه بالنبي ﷺ.. حتى كان ﷺ يقول لجعفر: أشبهت خلقي وخلقي.. ما كاد جعفر يستقر في المدينة.. حتى بلغ النبي ﷺ أن الروم يجمعون الجيوش لغزو المسلمين.. فجهز النبي ﷺ جيشًا لقتال الروم في مؤتة.. وأمَّر عليهم زيد بن حارثة.. وقال لهم: إن أصيب زيد فجعفر على الناس، فإن أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة.. فتجهز الناس وهم ثلاثة آلاف مقاتل.. ثم ودعهم رسول الله ﷺ..

وصل المسلمون إلى مؤتة.. فإذا الروم مائة ألف مقاتل.. فابتدأ القتال..فأخذ الراية زيد فأصيب فقتل.. ثم أخذها جعفر بيمينه.. وقاتل بها حتى إذا اشتد القتال.. رمى بنفسه عن فرسه.. وهو يقول:

يا حبذا الجنة واقترابها
طيبة وباردًا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها

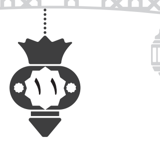


كـــافـــرة بـــعـــيـــدة أنـــســـابـــهـــا
عـــلـــي إذ لاقـــيـــتـــهـــا ضـــرابـــهـــا

ولا زال يضربهـم بسـيفه.. والراية في بيمينـه.. فضربه رومي على يمينه.. فقطعت.. فأخذ الراية بشـماله فقطعت.. فاحتضنها بعضديه حتى قتل.. وهو ابن ثلاثين سنة..

قال عبد الله بن عمر ﵄: رأيت جعفر صريعًا.. وفي جسده أكثر من تسـعين ضربة ما بين طعنة وضربـة ورمية.. والله ما فيها واحـدة في قفـاه.. ثم أخـذ الراية عبـد الله بنُ رواحـة.. فأصيب فقتل.. ثم أخذها خالد بن الوليد.. فانسحب بالجيش..

هـذا خـبر المجاهديـن في مؤتـة.. أما خـبر المدينـة فيحكيه أنس ﵁ فيقول: خرج إلينا رسـول الله ﷺ.. ثم رقى النبي ﷺ المنـبر.. فقـال: «ألا أنبئكم بخبر جيشـكم هذا الغـازي..» قلنا: بلى.. قال: «أخذ الراية زيد فأصيب فقتل فاستغفروا له..» قالوا: اللهم اغفر له وارحمه.. قال: «ثم أخذ الراية جعفر فأصيب فقتل فاسـتغفروا له..» قالـوا: اللهم اغفر له وارحمـه.. قال: «ثم أخذ الرايـة عبد الله بن رواحة.. فأصيب فقتل فاسـتغفروا له..» قالوا: اللهم اغفر له وارحمه.. ثم استعبر النبي ﷺ ونزل..





وبعدها.. ذهب إلى بيت جعفر.. قالت أسماء بنت عميس زوجة جعفر: كنت قد غسّلت أولادي.. ونظفتهم ودهنتهم.. وعجنت عجيني.. ننتظر قدوم جعفر.. فاستأذن علينا رسول الله ﷺ ثم دخل.. فقال: «ادعي لي بني أخي..».. قالت: فأتيته بهم كأنهم أفراخ..

فلما رأوا رسول الله ﷺ.. أقبلوا يتسابقون إليه.. يتعلقون به ويقبلونه.. يظنونه أباهم جعفر.. فجعل رسول الله ﷺ يمسح رؤوسهم ويبكي.. ويمسح رؤوسهم ويبكي.. فقالت أسماء: يارسول الله..أبلغك عن جعفر شيء؟ فسكت.. قالت: يارسول الله.. أبلغك عن جعفر شيء؟

قال: قتل جعفر.. قالت: يا رسول الله.. يتم بنيه.. يتم بنيه.. قال: آلعيلة تخافين عليهم..!! أنا وليهم في الدنيا والآخرة.. ثم خرج رسول الله ﷺ وهو يقول: «**على مثل جعفر فلتبكِ البواكي**»..

ثم رجع الرسول ﷺ إلى أهله فقال: «**اصنعوا لآلَ جعفر طعامًا فإنهم أتاهم ما يشغلهم..**».. نعم.. قتل جعفر.. وفارق أهله وماله.. لكنه دخل جنة عرضها السماوات والأرض..

قال ﷺ: «**رأيت جعفر في الجنة.. له جناحان مضرجان بالدماء.. يطير بهما مع الملائكة..**»

نعم.. هذه حقيقة التقوى !! أن تطيع الله بكل جوارحك..

فهل يكون متقيًا.. من يصوم بطنه عن الطعام.. ولا تصوم عينه عن النظر الحرام.. ولا سمعه عن السماع الحرام.. ولا يصوم لسانه عن الآثام.. هل يكون متقيًا.. من يجمع الثواب في النهار.. ثم يحرق ذلك في الليل.. بأغنية ماجنة.. ورقصة فاتنة.. يزينها له شياطين الإنس.. نعم.. يزينها له شياطين الإنس..

صفدت شياطين الجن فتحركت شياطين الإنس..

بل إن شياطين الإنس لم يكتفوا بليل الصائمين..وإنما أشغلوا نهارهم.. أصبحت جموع من الصائمين.. تتسمر أمام الشاشات في النهار والليل.. واكتفوا من الصيام بالإمساك عن الطعام فقط.. ولا يستشعرون أنهم وقعوا في الحرام..

عجبًا.. هل ينكر أحد منا حرمة النظر إلى المرأة الأجنبية.. أو حرمة الغناء وآلات الطرب؟! أو حرمة النظر إلى ألعاب السحر والشعوذة؟! بل تعرض على الناس برامج.. إذا تأملت فيمن أنتجها وصاغها.. بل وكتب حواراتها..

وجدتهم ليسوا من العلماء المتقين.. ولا المصلحين

الناصحين.. وإنما أكثرهم من الفساق.. وشراب الخمور.. وأصحاب الشهوات المسعورة.. يحاربون الله ورسوله.. ويكسبون الأموال..

لقد تبلدت أحاسيس بعض الناس.. حتى صاروا يتقبلون أن ينظروا إلى رجل يحتضن بنتًا شابة..لأنه يمثل دور أبيها.. أو يضطجع بجانبها على فراش واحد لأنه يمثل دور زوجها..

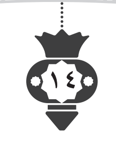
صرنا نأخذ الأمر بعفوية بريئة.. صرنا لا ننكر ظهور المرأة حاسرة متكشفة.. تعودنا.. مناظر احتساء الخمور.. والتدخين.. والسرقات.. والقتل.. والسباب.. تقبلنا كل هذا على أساس أنه تمثيل.. أي تقوى تحققها هذه البرامج..إنها والله تقضي على البقية الباقية من الإيمان.. بل إنها تتبع ما تبقى في القلب من تقوى وتزيلها..

أيها الصائمون والصائمات..

هل يليق هذا برمضان..شهرِ الحسنات..والرحمات..

سبحان الله.. أين ليالي رمضان.. التي كانت تقضى.. بين قارئ للأذكار..ومستغفر بالأسحار.. كانت تقضى بين ساجد خاشع.. وقائم خاضع.. لصدر أحدهم أزيز كأزيز المرجل من البكاء..

الكل في هدوء وسكينة.. تتنزل عليهم الرحمات.. ويباهي الله

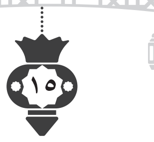


بهم ملائكته.. فجاء التلفاز وأبدلها بالأفلام.. والمسلسلات.. وجولات المصارعة الحرة.. وكرة القدم.. والأدهى من ذلك كله..أن يُخدَع الناسُ في رمضان بما يسمى مسلسلاتٍ دينية.. ففي شعبان يظهر الممثل في دور ماجن فاجر.. يقبل خليلته.. ويشرب الخمر.. فإذا دخل رمضان.. رأيته في شخصية أبي بكر وعمر.. وخليلته الفاجرة في دور عائشة وخديجة.. إن هذا لشيء عجاب..

نحن لا نلوم هؤلاء.. فقد غسلنا أيدينا منهم.. لكننا نلوم العقلاء المؤمنين.. الذين تستخفهم هذه التوافه فيتابعونها دون نكير.. فمن يصفدُ عنا مردةَ شياطينِ الأنس.. الذين لا يرونَ لرمضان حرمةً.. ولا يرقبون في مسلم إلاًّ ولا ذمة..

فيهيئون أسبابِ الرذيلة.. بكلِّ خسةٍ ووقاحة !! فبمناسبةِ رمضان..يحي الفنانُ فلان حفلةً غنائية.. وتقيمُ فرقةُ فلان.. مسرحيتهَا الماجنة.. ألا شاهتْ تلك الوجوه..ما أجرأَها على انتهاكِ حرماتِ الله.. أما يعلم هؤلاء المفسدون.. أنهم يصبحون ويمسون على نعمة عظيمة.. لو واصلوا ليلهم بنهارهم في صيام وقيام.. لما شكروا عشر معشارها..





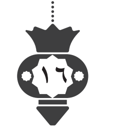
إنها نعمة الإسلام.. وإدراكِ الصيام والقيام.. أما يعلمون أن الله فضلهم بها على كثير ممن خلق تفضيلًا؟

كيف يكون حال أحدهم لو أن الله بدل أن يجعله مسلمًا موحدًا.. جعله بوذيًا يسجد لحجر.. أو جعله من عباد البقر.. أو ممن يقولون: الله ثالث ثلاثة.. أو يقولون: عزير بن الله.. والله إن هذه الدنيا كلَّها لا تساوي شيئًا إذا أحسن العبد التقرب إلى ربه.. واستغفر من تقصيره وذنبه..

وانظر إلى حال الأنصار رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بعد معركة حنين.. الأنصار الذين قاتلوا مع النبي ﷺ في بدر ثم قتلوا في أحد.. وحوصروا في الخندق.. ولا زالوا معه يقاتلون ويُقتَلون.. حتى فتحوا معه مكة.. ثم مضوا إلى معركة حنين.. ففي الصحيحين.. أن القتال اشتد أول المعركة.. وانكشف الناس عن رسول الله.. فإذا الهزيمة تلوح أمام المسلمين.. فالتفت ﷺ إلى أصحابه.. فإذا هم يفرون من بين يديه.. فصاح بالأنصار.. يا معشر الأنصار..

فقالوا: لبيك يا رسول الله.. وعادوا إليه.. وصفوا بين يديه..

ولا زالوا يدفعون العدو بسيوفهم.. ويفدون رسول الله ﷺ بنحورهم.. حتى فر الكفار وانتصر المسلمون..



وبعدما انتهت المعركة.. وجمعت الغنائم بين يدي النبي ﷺ.. أخذوا ينظرون إليها..

وأحدهم يتذكر أولاده الجوعى.. وأهلَه الفقرا.. ويرجو أن يناله من هذه الغنائم شيء يوسع به عليهم.. فبينما هم على ذلك.. فإذا برسول الله ﷺ.. يدعو الأقرع بن حابس – ما أسلم إلا قبل أيام في فتح مكة.. فيعطيه مائة من الإبل.. ثم يدعو أبا سفيان ويعطيه مائة من الإبل.. ولا يزال يقسم النعم.. بين أقوام.. ما بذلوا بذل الأنصار.. ولا جاهدوا جهادهم.. ولا ضحوا تضحيتهم.. فلما رأى الأنصار ذلك..

قال بعضهم لبعض: يغفر الله لرسول الله.. يعطي قريشًا ويتركنا.. وسيوفنا تقطر من دمائهم..

فلما رأى سيدهم سعد بن عبادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذلك.. دخل على رسول الله ﷺ.. فقال: يا رسول الله.. إن أصحابك من الأنصار وجدوا عليك في أنفسهم.. قال: وما ذاك ؟!!

قال: لما صنعت في هذا الفئ الذي أصبت.. قسمت في قومك.. وأعطيت عطايًا عظامًا.. في قبائل العرب.. ولم يكن في الأنصار منه شئ.. فقال ﷺ: فأين أنت من ذلك يا سعد ؟

قال: يا رسـول الله.. ما أنا إلا امرؤ من قومي.. فقال: فاجمع لي قومك.. فلما اجتمعوا.. أتاهم رسـول الله.. فحمد الله وأثنى عليه.. ثم قال: يا معشر الأنصار.. ما قالة بلغتني عنكم ؟

قالوا: أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئا، وأما ناس منا حديثة أسـنانهم فقالوا: يغفر الله لرسول الله يعطي قريش ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم..

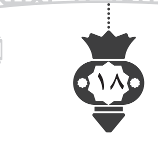
فقال ﷺ: **يا معشـر الأنصار.. ألم تكونوا ضلالًا فهداكم الله بي..** قالوا: بلى ولله ورسوله.. المنة والفضل..

قـال: **ألـم تكونـوا عالـة فأغناكـم الله.. وأعـداءً فألـف بين قلوبكم..** قالوا: بلى ولله ورسوله.. المنة والفضل..

ثم سكت رسول الله ﷺ.. وسكتوا.. وانتظرَ.. وانتظروا..

فقال: **ألا تجيبوني يا معشـر الأنصار**.. قالـوا: وبماذا نجيبك يا رسول الله.. ولله ولرسوله المنة والفضل..

قـال: **أما والله لو شئتم لقلتم.. فلصَدَقتم ولصُدِّقتم.. لو شئتم لقلتـم: أتيتنا مكذبًا فصدقنـاك.. ومخذولًا فنصرنـاك.. وطريدًا فآويناك.. وعائلًا فواسيناك..** ثم قال: **يا معشر الأنصار.. أوجدتم علـى رسـول الله في أنفسـكم.. في لعاعة مـن الدنيـا.. تألفت بها**



قومًا ليسلموا.. ووكلتم الى إسلامكم.. إن قريشًا حديثوا عهد بجاهلية.. وإني أردت أن أتألفهم..ألا ترضون يا معشر الأنصار.. أن يذهب الناس بالشاة والبعير.. وترجعون برسول الله ﷺ إلى بيوتكم.. لو سلك الناس واديًا أو شعبًا.. وسلكت الأنصار واديًا أو شعبًا.. لسلكت وادي الأنصار.. أو شعب الأنصار.. فوالذي نفس محمد بيده.. إنه لولا الهجرة.. لكنت امرءًا من الأنصار.. اللهم ارحم الأنصار.. وأبناء الأنصار.. وأبناء أبناء الأنصار..

فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم.. وقالوا: رضينا برسول الله قَسْمًا وحظًا.. ثم انصرف رسول الله وتفرقوا.. نعم.. إن الإسلام الذي هدوا إليه هو خير مما يجمعون.. فطوبى لصائم استشعر هذه النعمة.. فحقق التقوى.. فصام الشهر.. واستكمل الأجر..

أخذ رمضان كاملًا وسلمه للملائكة كاملًا.. فلا غيبة.. ولا نميمة.. ولا أذية للمؤمنين.. ولا تقاعس عن صلوات.. أو وقوعًا في محرمات.. صام فصامت جوارحه وأركانه.. قانتًا آناء الليل ساجدًا.. وقائمًا.. يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه..

طوبى لمن كانوا كذلك.. من عُبّاد رب الشهور كلها.. بواطنهم كظواهرهم.. شوالهم كرمضانهم.. الناس في غفلاتهم..

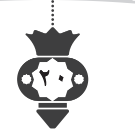
وهم في بكائهم.. ربانيون لا رمضانيون.. هؤلاء هم الذين يتحقق فيهم قوله ﷺ - كما في الصحيحين - : «**كل عمل ابن آدم له، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف. يقول الله ﷻ: إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به.. ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي.. للصائم فرحتان؛ فرحة عند فطره.. وفرحة عند لقاء ربه.. و لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك**»..

وفي الصحيحين أيضًا قال ﷺ: «**من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه**»..

وروى مسلم أنه ﷺ قال: «**من صام يومًا في سبيل الله باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفًا**»..

وفي البخاري: «**أن في الجنة بابًا يُقال له: الريان، يدخل منه الصائمون، لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أُغلق، فلم يدخل منه أحد..**».

ولا شك أن هذا الثواب الجزيل.. لا يكون لمن امتنع عن الطعام والشراب فقط.. وإنما لا بد أن يتأدب بآداب الصوم.. فالصائم المتقي.. يحفظ اللسان.. كما قال ﷺ فيما رواه البخاري: «**من لم يدع قول الزور والعمل به.. فليس لله حاجةٌ في أن يدع طعامه وشرابه**»..



وفي الصحيحين قال ﷺ: «**الصوم جنة.. فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق ولا يجهل.. فإن سابه أحد فليقل: إني امرؤ صائم**»..

وقد كان السلف يحذرون من فلتات اللسان.. في غير صومهم، فكيف بهم إذا صاموا..؟!!

كان أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأصحابه إذا صاموا جلسوا في المسجد.. وقالوا: نحفظ صيامنا..

وهذا هو حال العاقل.. فلماذا يغتاب الناس؟!.. فيعطي حسناته لغيره.. قال عبد الله بن المبارك لسفيان الثوري: يا أبا عبد الله.. ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة.. فقال سفيان: هو أعقل من أن يسلط على حسناته من يذهب بها.. بل كان بعضهم يحاسب نفسه على الكلام المباح فضلاً عن غيره..

ذكر ابن قدامة في الرقة والبكاء.. عن مالك بن ضيغم عن أبيه قال: جاءنا رياح القيسي يسأل عن أبي بعد العصر.. فقلنا: هو نائم.. فقال: أنوم بعد العصر ؟ هذه الساعة ؟ هذا وقت نوم !! ثم ولى.. فقلنا للخادم: الحقه.. فقل: نوقظه لك ؟ فذهب الخادم.. فلم يرجع الخادم إلا بعد المغرب.. فقلنا: أبلغته.. فقال: هو

كان أشغلَ من أن يفهم عني.. أدركته وهو يدخل المقابر.. وهو يوبخ نفسه.. يقول: يا نفس أقلت: أي نوم هذا.. لينم الرجل متى شاء.. تسألين عما لا يعنيك.. أما إن الله ﷻ علي عهدًا.. أن أصلي كذا وكذا.. نعم دقق على نفسك.. ولا تحتقرن شيئًا..

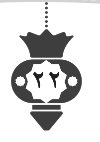
جلست عائشة يومًا مع رسول الله ﷺ.. فذكرت له صفية -إحدى زوجاته.. وتعلمون ما يقع بين الضرائر من الغيرة- قالت عائشة: يا رسول الله.. حسبك من صفية كذا وكذا.. تعني قصيرة.. فقال ﷺ: «**لقد قلت كلمة.. لو مزجت بماء البحر لمزجته..**» رواه الترمذي وقال «حسن صحيح»..

وفي الصحيحين أنه ﷺ قال: «**إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار.. أبعدَ مما بين المشرق والمغرب**».

أيها الصائمون والصائمات..

ومن أفضل الأعمال.. في هذا الشهر الكريم..قيام الليل..

ففي الصحيحين أنه ﷺ قال: «**من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه**».. ومدح الله المؤمنين فقال: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾..



وقد كان قيام الليل دأب النبي ﷺ وأصحابه..

ففي الصحيح عن حذيفة قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة.. فافتتح البقرة.. فقلت: يركع عند المائة.. ثم مضى فقلت: يصلي بها في ركعة.. فمضى.. فقلت: يركع بها.. ثم افتتح النساء.. فقرأها.. ثم افتتح آل عمران.. فقرأها.. يقرأ مترسلاً.. إذا مر بآية فيها تسبيح.. سبح.. وإذا مر بسؤال.. سأل.. وإذا مر بتعوذ.. تعوذ.. ثم ركع فجعل يقول: **سبحان ربي العظيم.. فكان ركوعه نحوًا من قيامه.. ثم قال: سمع الله لمن حمده.. ثم قام طويلًا قريبًا مما ركع.. ثم سجد فقال: سبحان ربي الأعلى.. فكان سجوده قريبًا من قيامه..**

أما أبو بكر رضي الله عنه.. فكان يصلي من الليل ما شاء الله.. ويبكي..

وأما عمر رضي الله عنه.. فكان يصلي من الليل ما شاء الله.. حتى إذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة، ثم يقول لهم: الصلاة، الصلاة.. ويتلو هذه الآية: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾..

نعم كان أحدهم يصلي لربه.. صلاة عبد مشتاقٍ إليه.. معترفٍ بفضله عليه.. متذللٍ منكسرٍ بين يديه..

فيزداد محبة إلى محبته.. وشوقًا إلى دخول جنته..

يــود أن ظــلام الـلـيـل دام له

وزيــد فيه ســواد القلب والبصر

وهكذا كان من بعدهم..

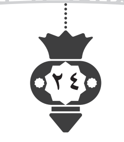
كان محمد بن خفيف.. رَحِمَهُ ٱللَّهُ به وجع الخاصرة.. فكان يشتد عليـه حتى يقعده عن الحركة..فكان إذا نودي بالصلاة.. يحمل على ظهر رجل إلى المسـجد.. فقيل لـه: إن الله قد عذرك.. فلو خففت على نفسك.. فقال: كلا.. إذا سمعتم حي على الصلاة.. ولم تروني في الصف فاطلبوني في المقبرة..

لله درهم من مرضى.. بل والله نحن المرضى..

وكان منصـور بن المعتمـر.. إذا جن عليه الليـل.. يلبس من أحسـن ثيابه.. ثم يرقى إلى سـطح بيته.. ويصلـي.. فلما مات.. قـال غـلام جيرانهم لأمه: يا أمـاه.. الجذع الـذي كان ينصب في الليل في سطح جيراننا.. ليس أراه..

فقالــت: يا بني.. ليس ذاك جذعًــا، ذاك منصور كان يصلي.. وقد مات.. وكانوا يستشعرون عظمة ربهم إذا وقفوا بين يديه..

كان أبو زرعة الرازي إمامًا في مسجد قومه عشرين سنة..



فجـاءه يومًـا.. قـوم من طـلاب الحديـث.. فنظـروا فإذا في محرابه كتابـة.. فقالوا له: ما حكم الكتابة في المحاريب ؟ فقال: قـد كرهه قوم ممن مضـى.. فأنا أنهى عنه وأكرهـه.. فقالوا: هو ذا في محرابـك كتابة.. أو ما علمت بها..!! فقال: سـبحان الله !! رجل يقف بين يدي الله تعالى.. ويدري ما بين يديه..

أما سفيان الثوري.. فقد حدث عنه عبد الرزاق -أحد طلابه- قـال: قـدم علـيَّ سـفيان الثـوري.. بعـد العِشـاء.. فوضعت له العَشـاء.. والزبيب والموز.. فأكل أكلًا جيدًا.. فلما فرغ.. قام.. وتوضأ.. ثم شـد على وسـطه إزاره.. واسـتقبل القبلـة، وقال.. يا عبد الرزاق !! يقولون: اعلف الحمار ثم كده.. ثم صف قدميه يصلي حتى الصباح..

وقال ابن وهب: رأيت سـفيان الثـوري في الحرم بعد المغرب.. صلى ثم سـجد سـجدة فلم يرفع حتى نودي بالعشاء.. نعم.. كانوا يتسابقون إلى الخير..

قـام أبـو مسـلم الخـولاني ليلـة.. فتعبـت قدمـاه فضربهمـا بالسوط.. وأخذ يقول: أيظن أصحاب رسول الله ﷺ أن يسبقونا إليـه ؟ والله لنزاحمنهم عليه.. حتى يعلمـوا أنهم خلفوا وراءهم

رجالًا.. وكانوا يجدون في الصلاة خشوعًا.. وفي السجود خضوعًا..

ذكر الذهبي عن بعض أصحاب شعبة بن الحجاج قال: كان شعبة يطيل الصلاة.. وما رأيته ركع في الصلاة قط إلا ظننت أنه نسي.. ولا قعد بين السجدتين إلا ظننت أنه نسي..

وفي «الحلية»: أن عبيدة بن مهاجر.. كان عابدًا شاكرًا.. متخشعًا ذكرًا.. وكان له أم مجوسية.. فكان يبرها أشد البر.. ويدعوها إلى الإسلام فتأبى عليه.. فرجع من صلاة العصر يوم الجمعة.. فبشرته أنها أسلمت.. ونطقت الشهادتين.. فخر ساجدًا لله.. يبكي ويناجي.. فما رفع رأسه حتى غابت الشمس..

ولم يكن العباد من الرجال فقط، ففي النساء نصيب.. فمعاذة العدوية كانت تصلي أكثر الليل.. وتقول: عجبت لعين تنام وقد عرفت طول الرقاد في ظلم القبور.. وتبكي..

وكانت حفصة بنت سيرين تسرج سراجها من الليل ثم تقوم في مصلاها.. وكانت تقرب كفنها.. لتذكر الموت في صلاتها.. فتخشع.. نعم.. كانوا يركعون ويسجدون.. ويصلون ويقومون.. حتى صار ذلك لهم عادة..

كان للحسن بن صالح جاريةٌ فاشتراها منه بعضهم.. فلما انتصف الليل عند سيدها الجديد قامت تصيح في الدار: يا قوم.. الصلاة..الصلاة.. فقاموا فزعين.. وسألوها: هل طلع الفجر ؟ فقالت: وأنتم لا تصلون إلا المكتوبة ؟! ثم قامت تصلي..

فلما أصبحت رجعت لسيدها الأول.. وقالت له: لقد بعتني إلى قوم سوء لا يصلون إلا الفريضة، ولا يصومون إلا الفريضة، فردني، فردها.. فليت شعري.. ماذا تقول تلك الجارية لو رأت فريقًا من مسلمي زماننا.. الذين تمر عليهم الأيام تترى.. وهم على فرشهم يتقلبون.. فلا الليلَ يقومون.. ولا صلاةَ الفجر يشهدون.. فكانوا كما قال الله: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾..

وكانوا في رمضان أشدَّ منهم اجتهادًا.. فكان الصحابة في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصلون ثلاثًا وعشرين ركعة.. ويختمون القرآن مرارًا في رمضان..

وفي «الموطأ» عن ابن هرمز قال: ما أدركت الناس إلا وهم يلعنون الكفرة في رمضان.. فكان القارىء يقوم بسورة البقرة في ثمان ركعات.. فإذا قام بها في اثنتي عشرة ركعةً.. رأى الناس أنه قد خفف..

وفي «الموطأ» عن عبد الله بن أبي بكر عن أبيه قال: كنا ننصرف من القيام في رمضان.. فنستعجل الخادم بالطعام مخافة الفجر..

وفي «شعب البيهقي» عن خالد بن دريك قال: كان لنا إمام بالبصرة يختم بنا في شهر رمضان في كل ثلاث.. فمرض فأمنا غيرُه.. فختم بنا في كل أربع.. فرأينا أنه قد خفف..

وقال السائب بن زيد: كان القارئ يقرأ بالمئين – يعني بمئات الآيات – حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام.. وما كنا ننصرف إلا عند الفجر.. فقارن حالهم بحالنا اليوم..

ومن فضل الله تعالى.. أن من صلى التراويح كاملة مع الإمام.. فكأنما قام الليلة كاملة.. كما في «السنن» أنه ﷺ قال: «**من قام مع إمامه حتى ينصرف كتب له قيام ليلة**»..

نعم.. قوم عبدو ربهم.. فخافوا من عقوبته.. ورغبوا في معافاته.. وتعلقت قلوبهم بمحبته.. فكثر في الدنيا اجتهادهم.. حتى علت بين الناس رتبهم.. فأحبهم أهل السماء.. ووضع حبهم في الأرض.. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾..

شهر رمضان هو شهر القرآن..

وكان جبريل يدارس النبي ﷺ القرآن في رمضان..

وكان عثمان رضي الله عنه يختم القرآن كل يوم مرة..

وكان الزهري إذا دخل رمضان.. يفر من الحديث ومجالسة أهل العلم.. ويقبل على تلاوة القرآن من المصحف..

وكان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن..

وكان قتادة في غير رمضان.. يختم القرآن في كل سبع ليال مرة.. فإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث ليال مرة.. فإذا جاء العشر ختم في كل ليلة مرة..

وكان إبراهيم النخعي يختم في العشر الأواخر كل ليلة.. وفي بقية الشهر في ثلاث..

وكانوا يتدبرون القرآن..

ففي البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ يومًا: «**اقرأ علي**»، فقلت: أقرأ عليك وعليك أنزل ؟ فقال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**»، قال: فقرأت سورة النساء حتى إذا بلغت: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ

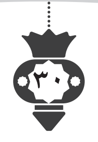
﴿هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ قال: «**حسبك..**» فالتفت فإذا عيناه تذرفان..

وفي رمضان يجتمع الصوم والقرآن..فتدرك المؤمن الصادق شفاعتان .. يشفع له القرآن لقيامه.. ويشفع له الصيام لصيامه.. كما صح في «المسند» أنه ﷺ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة.. يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار.. فشفعني فيه.. ويقول القرآن: أي رب، منعته النوم بالليل فشفعني فيه، فيشفعان**»..

وقال ﷺ: «**يجيء القرآن يوم القيامة، فيقول: يارب، حلّه.. فيُلْبس تاجَ الكرامة.. ثم يقول: يارب، زده .. فيُلبس حلةَ الكرامة.. ثم يقول: يارب، ارض عنه فيرضى عنه.. فيقول: إقرأ وارق.. ويُزاد بكل آيةٍ حسنة**».. رواه الترمذي، وهو حديث حسن .

وروى ابن ماجه وأحمد بسند قال فيه الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح..» أنه ﷺ قال: «**إن القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب.. فيقول: هل تعرفني ؟**

فيقول: ما أعرفك.. فيقول: أنا صاحبك القرآن.. الذي أظمأتك في الهواجر.. وأسهرت ليلك.. وإن كل تاجر من



وراء تجارته.. وإنك اليوم مـن وراء كل تجارة.. فيعطى الملكَ بيمينه..والخلـدَ بشـماله.. ويوضـع علـى رأسـه تـاج الوقار.. ويكسى والداه.. حلتين لا تقوم لهما الدنيا.. فيقولان: عمَّ كسينا هـذا ؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن.. ثـم يقال: اقرأ.. واصعد.. في دُرَج الجنـة.. وغرفهـا.. فهو في صعود.. مـا دام يقرأ.. حدرًا كان أو ترتيلًا..»

وقال ﷺ: «والذي نفسـي بيده، إنه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه.. فإذا كان مؤمنًا.. كانت الصلاة عند رأسـه.. والزكاة عن يمينـه.. والصوم عن شـماله.. وفعل الخيـرات والمعروف والإحسـان إلى الناس مـن قبل رجليه.. فيؤتي من قبل رأسـه.. فتقول الصـلاة: ليس قبلي مدخـل.. فيؤتى عن يمينـه.. فتقول: الزكاة ليس قبلي مدخل.. ويؤتى من قبل شماله.. فيقول الصوم: ليس قبلي مدخل.. ثم يؤتى من قبل رجليه.. فيقول فعل الخيرات إلـى الناس: ليس من قبلي مدخل..» الحديث.. رواه الطبراني في «الأوسط» وقال الهيثمي: «إسناده حسن».

نعم.. كان القرآن عند السـلف الصالحين.. مسـهرًا لليلهم.. مدرًا لدموعهم..

قــال عبيد بن عمير.. ســألت عائشــة: أخبرينا بأعجب شــيء رأيتــه من رســول الله ﷺ.. فسـكتت ثم قالت: لمـا كان ليلة من الليالي.. قال: يا عائشة، ذريني أتعبد الليلة لربي.. قلت: والله إني أحب قربك.. وأحب ما يسـرك.. فقام فتطهـر.. ثم قام يصلي.. فلـم يزل يبكـي.. حتى بل لحيتـه.. ثم بكى حتى بـل الأرض.. فجاء بلال يؤذنه بالصلاة.. فلما رآه يبكي.. قال: يا رسول الله،.. تبكي !! وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر..

قال: «**أفلا أكون عبدًا شكورًا.. لقد نزلت علي الليلة آية.. ويل لمـن قرأها ولم يتفكر فيهـا ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾..**» رواه ابن حبان، وصححه الألباني..

أتــانـا رســول الله يـتـلـو كتابه
كما لاح مشهور مـن الفجر ساطع

أتـى بالهدى بعد العمى فقلوبنا
بــه مـوقنات أن مـا قــال واقـع

يبيت يـجــافي جنبه عـن فـراشـه
إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

نعم كانوا يقرؤون ويبكون..

أما بعض المسـلمين اليـوم.. فقد تحول القـرآن عندهم إلى

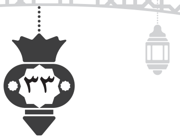
زخارف في البيوت.. والمتاجر.. والسيارات.. فصاحب المتجر يعلق آيات القرآن.. وهو يتعامل بالربا.. ويحلف كاذبًا.. بل.. تشاهد الآيات في السيارات.. وأصحابها يحملون الخمر.. وعلب السجائر.. ويحين عليهم وقت الصلاة ولا يصلون.. وتذهب إلى بعض الإدارات فتجد آيات القرآن معلقة.. وبين جدران هذه الإدارة تؤكل الرشوة.. ويحتال على المسلمين..

بل ترى المرأة المتبرجة.. تعلق في عنقها قلادة على صورة مصحف.. وهي سافرة متكشفة.. والقرآن يقول لها: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾..

ولتلاوة القرآن آداب:

منها أن يتلوَه على طهارة.. والتسوك قبل التلاوة.. والبداية بالاستعاذة والبسملة.. وتحسين الصوت والترتيل.. لما في المستدرك وغيره من قوله ﷺ: «**زينوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسنًا**»..

ومن الآداب أن لا يجهر أحد على أحد بالقراءة فيرفع صوته.. قال ﷺ: «**ألا كلكم مناجٍ لربه، فلا يؤذينّ بعضكم بعضًا.. ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة**»..




وعلى الشخص الذي يجد صعوبة في التلاوة أن يصبر..

قال ﷺ كما في «الصحيحين»: **«الذي يقرأ القرآن وهو ماهرٌ به مع السفرة الكرام البررة.. والذي يقرأه وهو عليه شاق له أجران»**..

ومن الآداب: محاولة البكاء والخشوع عند التلاوة.. قال تعالى ممتدحًا المؤمنين: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾..

أما ظاهرة إرتفاع الأصوات بالبكاء والصياح كما يقع في بعض المساجد في رمضان.. بحيث يكون الوضع مزعجًا جدًا.. وهذا ليس من سنة النبي ﷺ ولا أصحابه.. فلم يكن بكاؤهم صياحًا ولا زعيقًا..

ومن الآداب: محاولة فهم القرآن.. والقراءة في كتب التفسير..

ومن تأمل واقع المسلمين وجد جهلًا عامًا بمعاني القرآن.. فلو سألت أحدهم: هل تحفظ سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾.. لقال لك: نعم.. فاسأله: ما معنى الله الصمد ؟..

أو ما معنى ﴿ٱلْفَلَقِ ﴾ ؟ ما معنى: ﴿غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾؟ ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴾.. ما معناها؟.. هذه قصار السور..



ما ســألته عن آية في سورة البقرة وآل عمران.. وإنما عن سور يقرؤهــا يوميًا أو تقرأ عليه.. ومع ذلك يجهل معانيها.. فما الذي يضره لو تعلم تفسيرها ساعة من نهار.. فينبغي على قارئ القرآن أن يحاول جاهدًا أن يتفهم ما يقرؤه..

ومــن أفضــل العبــادات في هــذا الشــهر الكريم..الدعــاء.. ويســتحب في كل وقت.. وله أوقات يتأكد فيها.. فعند الإفطار.. «**للصائم دعوة لا تــرد**».. وفي ثلث الليل الآخر.. حين ينزل ربنا تبــارك وتعالى ويقول: «**هل من ســائل فأعطيه هل من مســتغفر فأغفر له**».. وقد مدح الله المســتغفرين بالأسحار، فقال: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾..

ويستحب للداعي أن يتحرى أوقات الإجابة.. كما بين الأذان والإقامة.. وســاعةِ يــومِ الجمعة.. ودبــرِ الصلــواتِ المكتوبةِ.. وغيرِها..

والمــرأة في مــا ذكرنا..شــقيقة الرجــل.. في الحــرص علــى الطاعات.. واغتنام الأوقات..

وبعض النســاء.. يقصــرن في ذلك.. فإذا أقبــل رمضان.. كثر خروجهن إلى الأسواق.. تخرج إحداهن وقد حسرت ذراعيها..

وأبدت عينيها.. أو لبست عباءة مطرزة أو مزركشة.. وقد تخرج زينة أكثر من هذه.. ورائحة العطر تفوح منها..

وبعض شبابنا يصومون في النهار.. فإذا أقبل الليل.. جمل أحدهم هندامه.. وزين ثيابه.. ثم جعل يتعرض للنساء في الأسواق.. يرمق هذه.. ويشير إلى تلك.. عجبًا.. بالنهار نيام.. وبالليل لئام..

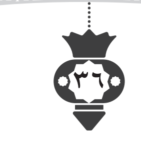
الناس في صلاة وخشوع.. وهو يتصيد الأعراض..

فيا لفداحة الفاجعة.. ويا للنظرات المسعورة.. والكلمات المعسولة.. فأين الرجال عن أعراضهم.. أين الغيرة على الحرمات.. أين الشهامة..

إن لم تصُن تلك الأسود لحومها
أُكلت بلا عوض ولا أثمان

ومن أفضل الأعمال في هذا الشهر الكريم.. الجود والإحسان.. وقد كان رسول الله ﷺ أجود الناس.. وكان أجود ما يكون في رمضان.. كان أجود بالخير من الريح المرسلة..

فكم من حسنة إلى منكوب.. وصدقة على مكروب.. غفر الله بها الذنوب.. وستر بها العيوب.. والصدقة تطفئ الخطيئة



كما يطفئ الماء النار.. والصدقة تطفئ غضب الرب..

ذكر في «تاريخ بغداد».. أن فقيرًا جاء إلى عبد الله بن المبارك.. فسأله أن يقضى عنه دينًا عليه.. فناوله عبد الله كتابًا.. إلى وكيل ماله.. فذهب به الفقير.. فلما قرأه الوكيل.. قال للفقير: كم الدين الذي سألت فيه عبد الله أن يقضيه عنك ؟

قال: سبعمائة درهم.. فكتب الوكيل إلى عبد الله.. أن الرجل سألك أن تقضي عنه سبعمائة درهم.. وكتبت له سبعة آلاف.. وسوف تفنى الأموال أو فنيت.. فكتب إليه عبد الله: إن كانت الأموال قد فنيت.. فإن العمر أيضًا قد فني.. فأجز له ما سبق به قلمي..

وفي «السير»: أن ابن المبارك.. كان كثيرًا ما يسافر إلى الرقة.. وينزل في خان فيها.. فكان شاب يأتي إليه.. ويقوم بحوائجه.. ويسمع منه الحديث.. فقدم عبد الله الرقة مرة.. فلم ير ذلك الشاب.. فسأل عنه.. فقالوا: إنه محبوس.. لدين ركبه..

فقال عبد الله: وكم مبلغ دينه ؟ فقالوا: عشرة آلاف درهم.. فلم يزل عبد الله يستقصي.. حتى دُلَّ على صاحب المال.. فدعا به ليلًا وأعطاه عشرة آلاف درهم.. وحلفه أن لا يخبر أحدًا.. ما دام عبد الله حيًا.. وقال له: إذا أصبحت.. فاخرج الرجل من

الحبس.. ثم خرج عبد الله من ليلته من الرقة..

فلما خرج الفتى من الحبس.. قيل له: عبد الله بن المبارك كان هاهنا.. وكان يسأل عنك.. فخرج الفتى في أثره فلحقه على مرحلتين أو ثلاث من الرقة.. فلما قابله.. قال له عبد الله: يا فتى.. أين كنت ؟ لم أرك في الخان ! قال: كنت محبوسًا بدين..

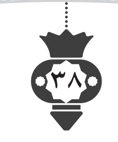
قال: فكيف كان سبب خلاصك ؟ قال: جاء رجل فقضى ديني.. ولم أعلم به حتى أخرجت من الحبس..

فقال له عبد الله: احمد الله على ما وفق لك من قضاء دينك.. ثم فارقه ومضى.. والصدقة في رمضان لها صور متعددة..

فمنها: إطعام الطعام: قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾..

وأخرج الحاكم وصححه.. أنه ﷺ قال: **«يا أيها الناس، أفشوا السلام.. وأطعموا الطعام.. وصلوا الأرحام.. وصلوا والناس نيام.. تدخلوا الجنة بسلام»**..

وكان الصالحون يعدون إطعام الطعام من العبادات..



وقد روى الترمذي بسند حسن.. أنه ﷺ قال: «**أيما مؤمن أطعم مؤمنًا على جوع أطعمه الله من ثمار الجنة، ومن سقى مؤمنًا على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم**»..

ومن إطعام الطعام.. تفطير الصائمين:

وكان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لا يفطر إلا مع اليتامى والمساكين..

وقد روى أحمد والنسائي أن النبي ﷺ قال: «**من فطر صائمًا كان له مثل أجره غير أنه لا ينقص من أجر الصائم شيء**»..

ومن أفضل الطاعات.. الجلوس في المسجد حتى تطلع الشمس .. فقد روى مسلم أنه ﷺ كان إذا صلى الفجر جلس في مصلاه حتى تطلع الشمس..

وصح عند الترمذي أنه ﷺ قال: «**من صلى الفجر في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة**»..

هذا الفضل في كل الأيام فكيف بأيام رمضان ؟

ومن الأعمال الفاضلة في رمضان: العمرة.. ففي «الصحيحين» أنه ﷺ قال: «**عمرة في رمضان تعدل حجة**».. وفي رواية «**حجة معي**»..

ومن أفضل الطاعات أيضًا.. تلك العبادة التي يخلو المرء

فيها المرء بربه.. فيناجيه خاشعًا.. معترفًا خاضعًا.. يدع الدنيا وراءه.. إنها العبادة التي حافظ الرسول ﷺ عليها طوال حياته.. إنها سُنّة الاعتكاف.. وهو لزوم المسجد وعدم الخروج منه تقربًا إلى الله تعالى.. ولا يخرج من المسجد إلا لحاجه ضرورية لابد منها.. وإلا بطل اعتكافه..

وقد كان ﷺ يعتكف كل رمضان عشرة أيام.. فلما كان العام الذي قُبِضَ فيه اعتكف عشرين يومًا.. كما عند البخاري..

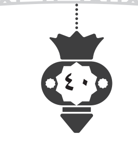
والاعتكاف المطلوب.. ليس الاعتكاف الذي يجعل المساجدَ مهاجعَ للنائمين.. أو مجالسَ للمتزاورين.. وموائدَ للأكل.. وحلقاتٍ للضحك وفضول الكلام..

فهذا اعتكاف لا يزداد به صاحبه إلا قسوة في قلبه..

إن الاعتكاف المطلوب.. هو الذي تسيل فيه دموع الخاشعين.. وترفع فيه أكف المتضرعين المخبتين..

إنه الاعتكاف الذي يسعى فيه المرء جاهدًا.. أن لا يصرف منه لحظة في غير طاعة.. وعلى المعتكف.. بل على الصائم عمومًا.. أن يجعل لسانه رطبًا من ذكر الله..

فقد قال ﷺ: «**ألا أنبئكم بخير أعمالكم.. وأزكاها عند**



مليككم.. وأرفعها في درجاتكم.. وخير لكم من إعطاء الذهب والورق.. وأن تلقوا عدوكم.. فتضربوا أعناقهم.. ويضربوا أعناقكم». قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «**ذكر الله عز وجل**».. أخرجه الحاكم وصححه..

وذكر ابن كثير في «البداية والنهاية» أن أبا هريرة كان يسبح كل يوم ثنتي عشرة ألف تسبيحةٍ، ويقول: أسبح على قدر ديتي..

وعند الحاكم وصححه.. أن أعرابيًا قال: يا رسول الله.. إن شرائع الإسلام قد كثرت علي.. فأنبئني بشيء أتشبث به.. فقال ﷺ: «**لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله**»..

وقد قال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةً وَأَجۡرًا عَظِيمًا﴾.. فينبغي للصائم.. أن يكون مشتغلًا بالذكر والأذكار.. فمن كانت هذه حاله في صيامه.. أو اعتكافه وقيامه.. رُجي له الخير العظيم بفضل الله وتوفيقه..

وأفضل الذكر: قراءة القرآن.. فإن بكل حرف حسنة، والحسنة بعشر أمثالها.. والقرآن يشفع لأصحابه يوم القيامة..

ولا شك أن الاكتفاء بختمة واحدة في هذه الأيام العشرة تفريط كبير .. كما ينبغي على المعتكف الإكثار من الصلاة.. والنوافل

المطلقة والمقيدة.. كالسنن الرواتب.. وصلاة الضحى.. وغير ذلك..

فقد روى مسلم أن ﷺ قال لثوبان رضي الله عنه: «**عليك بكثرة السجود لله.. فإنك لا تسجد لله سجدة.. إلا رفعك الله بها درجة.. وحط عنك بها خطيئة**»..

وروى مسلم أيضًا عن ربيعة بن كعب رضي الله عنه قال: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فآتيه بوضوئه وحاجته.. فقال لي: «**سل**».. فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة.. قال: «**أو غير ذلك**»؟

قلت: هو ذاك.. قال: «**فأعني على نفسك بكثرة السجود**»..

والاعتكاف والصلاة..لهما فضل عظيم..

روى مسلم أنه ﷺ قال:«**صلاة الرجل في جماعة تضعف على صلاته في بيته.. وفي سوقه .. خمسًا وعشرين درجة.. ذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء.. ثم خرج إلى الصلاة - لا يخرجه إلا الصلاة - لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة.. وحط عنه بها خطيئة.. فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه: اللّهُمَّ صلِّ عليه.. اللّهُمَّ أرحمه.. ولا يزال في صلاة ما انتظر الصلاة**»..

فإذا كان المشي إلى الصلاة وانتظارها يرفع المرء ويرقيه..

فكيف بالمكوث في المسجد.. والاعتكاف فيها أيامًا وليال.. وانتظار الصلاة بعد الصلاة..

قال الزهري: «عجبًا للمسلمين تركوا الاعتكاف.. مع أن النبي ﷺ ما تركه منذ قدم المدينة حتى قبضه الله»..

ومن نوى اعتكاف العشر الأواخر فإنه يدخل معتكفه قبل غروب شمس العشرين من رمضان.. ويخرج بعد غروب شمس ليلة العيد..

ومن اجتهد في العشر الأواخر فهو حري بأن يدرك ليلة القدر.. وهي أعظم ليالي رمضان.. بل هي خير من ألف شهر..

وفي «الصحيحين» عنه ﷺ قال: «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه**»..

وكان ﷺ يتحرى ليلة القدر.. ويأمر أصحابه بتحريها.. وكان يوقظ أهله في ليالي العشر.. رجاء أن يدركوا ليلة القدر.

وفي «الصحيح» عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: يا رسول الله، إن وافقت ليلة القدر ما أقول ؟ قال: قولي «**اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني**».

أيها الصائمون والصائمات..

إننا نعبد ربًا عفوًا يحب العفو.. رحمته تسبق غضبه..





ومغفرتـه أعجل مـن عقوبته.. يحب من عباده أن يسـارعوا إليه إذا أذنبوا.. فالتوبة هي شـعار المتقين..ودأب الصالحين.. روى مسلم أنه ﷺ قال: «**يا أيها الناس، توبوا إلى الله، فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة**»..

ولله في كل ليلة عتقاء من النار.. فاجتهد أن تكون واحدًا منهم!!

فرمضـان فرصـة لمن فـرط في صلاتـه.. ليتدارك نفسـه.. «**فبين الرجل وبين الكفر أو الشرك ترك الصلاة**»..

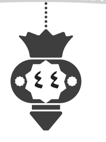
ورمضان فرصة للمدخن أن يتوب..

ورمضـان فرصة لمـن قطع رحمـه أن يصلهـا.. و«**لا يدخل الجنة قاطع رحم**».. وقد أمر الله بصلة الرحم في تسع عشرة آية.. ولعن قاطع الرحم في ثلاث آيات..

فمـن كان بينه وبين أحد من أرحامه أو أحد من المسـلمين.. بغضاء أو شحناء.. فليسارع إلى الإصلاح..

وإذا صامت بطوننا عن الغذاء.. فلتصم قلوبنا عن الشحناء..

نعـم رمضان فرصة لهؤلاء.. وهو فرصـة أيضًا.. لمن يتاجر بالحـرام.. فيبيـع المحرمـات من دخـان.. ومجلات فاسـدة..



ومعسـل .. أو أشـرطة غنائيـة..أو يبيـع العبـاءات والنقابـات المحرمة.. أو الملابس الفاضحة..

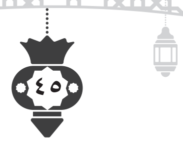
ليتـوب مـن ذلـك.. وليعلـم أن الله يحاسـب علـى النقيـر والقطمير.. و«**كل جسـد نبت من سحت فالنار أولى به**».. و«**لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل .. عن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه**»؟

إن رمضـان فرصـة لنـا جميعًـا..أن نتخلص من ذنـوب لعلّ بعضهـا.. تتبعنا إلـى قبورنا.. نعم.. ذنوب تدخـل معنا قبورنا.. نموت نحن.. وتعيش هي بعدنا.. تصب علينا السيئات..

إنهـا تلك الذنوب التي يجمعها من ينشـر الفسـاد في الأرض عن طريق بيع أجهزة محرمة.. أو فتح مقاهٍ يجتمع فيها الفساق.. أو محـلات ينشـر بها مجلات فاسـدة.. أو مسـكرات ودخان.. فمن أعان على هذه المعاصي فهو شريك لأصحابها في الإثم..

و«**من دعا إلى ضلالة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة**»..

قال أبو حامد: طوبى لمن إذا مات ماتت معه ذنوبه.. والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه.. مائةّ سـنة.. ومائتي سـنة.. أو





أكثر.. يعذب بها في قبره.. ويسئل عنها إلى آخر انقراضها..

قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْ ﴾.. أي نكتب ما أخروه من آثار أعمالهم.. كما نكتب ما قدموه.. ولكن.. لا تقنط من رحمة الله.. فأبواب الرحمات مفتوحة.. فكن من الذين تفتح لهم أبواب الجنان..وتغلق عنهم أبواب النيران.. الذين ينسلخ عنهم رمضان مغفورة ذنوبهم.. مكفرة خطاياهم..

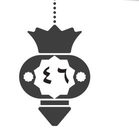
وقد قال ﷺ: «**رغم أنفه.. ثم رغم أنفه.. ثم رغم أنفه.. من أدرك رمضان ولم يغفر له**»..

أيها الصائمون والصائمات..

ومن أهم ما ينبغي أن نستغل به هذا الشهر المبارك.. نصح الناس.. ودعوتهم إلى الله.. فقد أقبل الناس على الخير.. وانتهى الكثيرون عن معاص كانوا مقيمين عليها فيما قبل رمضان..

فهل نغتنم هذه الفرصة السانحة.. وكم من عاص كانت توبته في رمضان.. بسبب آية طرقت سمعه.. أو موعظة أثرت في قلبه..

وقد روى مسلم أنه ﷺ قال: «**لأن يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من حمر النعم**»..



وروى الترمـذي أنـه ﷺ قـال: «**إن الله.. وملائكتـه.. وأهل السـماوات.. والأرضـين.. حتى النملـة في جحرها.. وحـتى الحوت.. ليصلون على معلم الناس الخير**»..

ورب كلمـة يتكلـم بهـا الداعيـة.. تكون سـبب هدايـة لمن يسـمعها.. و«**إن الرجـل ليتكلم بالكلمة مـن رضوان الله لا يلقي لها بالًا.. يكتب الله له بها رضاه إلى يوم يلقاه**»..

ذكـر ابن قدامـة في «التوابين».. عن عبد الواحـد بن زيد قال: كنت في مركب.. فطرحتنا الريح إلى جزيرة.. وإذا فيها رجل يعبد صنمًا.. فقلنا له: يا رجل.. من تعبد ؟ فأومأ إلى الصنم.. فقلنا: إن معنا في المركب من يصنع مثل هذا.. وليس هذا إله يعبد..

قال: فأنتم من تعبدون ؟ قلنا: الله.. قال: وما الله ؟

قلنـا: الـذي في السـماء عرشـه.. وفي الأرض سـلطانه.. وفي الأحياء والأموات قضاؤه.. فقال: كيف علمتم به؟..

قلنا: وجه إلينا هذا الملك رسولًا كريمًا.. فأخبر بذلك..

قال: فما فعل الرسول ؟ قلنا: أدى الرسالة.. ثم قبضه الله..

قـال: فما ترك عندكـم علامة ؟ قلنا: بلى.. تـرك عندنا كتاب الملك..

فقال: أروني كتاب الملك.. فينبغي أن تكون كتب الملوك حسانًا.. فأتيناه بالمصحف.. فقال: ما أعرف هذا.. فقرأنا عليه سورة من القرآن.. فلم نزل نقرأ ويبكي.. حتى ختمنا السورة..

فقال: ينبغي لصاحب هذا الكلام أن لا يعصى.. ثم أسلم.. وحملناه معنا.. وعلمناه شرائع الإسلام.. وسورًا من القرآن..

وأخذناه معنا في السفينة.. فلما سرنا وأظلم علينا الليل.. أخذنا مضاجعنا

فقال لنا: يا قوم.. هذا الإله الذي دللتموني عليه.. إذا أظلم الليل، هل ينام ؟

قلنا: لا يا عبدالله.. هو عظيم، قيوم لا ينام..

فقال: بئس العبيد أنتم.. تنامون ومولاكم لا ينام.. ثم أخذ في التعبد وتركنا..

فلما وصلنا بلدنا.. قلت لأصحابي: هذا قريب عهد بالإسلام.. وغريب في البلد.. فجمعنا له دراهم وأعطيناه..

فقال: ما هذا ؟ قلنا: تنفقها في حوائجك..

فقال: لا إله إلا الله.. أنا كنت في جزائر البحر.. أعبد صنمًا من دونه.. ولم يضيعني.. أفيضيعني وأنا أعرفه.. !! ومضى يتكسب لنفسه.. وكان بعدها من كبار الصالحين..

ووالله ما أقلت الغبراء.. ولا أظلت الخضراء.. أكرم خلقًا.. ولا أزكى نفسًا.. ولا أحرص على هداية الناس من أبي القاسم ﷺ..

لقد دعا ﷺ إلى الله في كل مكان.. وحال.. وزمان.. دعا من أحبوه.. ومن أبغضوه.. ومن أحسنوا معه.. ومن آذوه..

ولـم يكن اهتمامه ﷺ مقتصرًا علـى كبار الناس المؤثرين في المجتمع.. بل اعتنى بالصغار والكبار.. والعبيد والأحرار..

فيا أيها الصائمون والصائمات..

هل نغتنم أيام شهرنا في ذلك ؟.. إن اغتنمه التجار في التجارة.. والممثلـون في التمثيل.. والمغنون في الغنـاء.. أفلا نغتنمه نحن لهداية الناس.. بالابتسـامة.. والكلمة.. والرسـالة.. والكتاب.. والشـريط.. والدعـوة الصادقة.. لعل الله تعالى أن يفتح بسـببك القلوب..

أسـأل الله تعالى أن يسـتعملنا جميعًا في طاعتـه.. وأن يجعلنا هداة مهتدين..

